نحب البيئة و نحافظ عليها

(١٥)

الإسلام
و الإصلاح البيئي

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

في رِحابِ المَسْجِدِ

بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ في المَسْجِدِ الكبيرِ ، وقَفَ الأَصْدقاءُ يَتَحدَّثُون فيما بَيْنَهم عن بَعْضِ الأُمورِ التي تَهُمُّهم.. ، فقال (أمجدُ): في هذه الليلةِ المباركةِ ليلةِ الجُمُعةِ سَتُقامُ في المَسْجِد العُمَريِّ ندوةٌ دينيةٌ ثقافيةٌ ، ومِحْوَرُها: الإسْلامُ والإصْلاحُ البيْئي ، فما هُو رأيُكُم أن نَجْتَمِعَ في هذا المَسْجِدِ ، ثم نَنْطَلِقَ إلى المَسْجِدِ العُمَري ، عسى أن نَسْتَفيدَ في الدُّنيا والآخِرةِ..

وقُبيلَ أذانِ المَغْرِبِ اجتمعَ الأصدقاءُ في

المسجدِ الكبيرِ ، ثم انْطَلَقُوا إلى المَسْجِد العُمَري.

وبعد صلاةِ المَغْربِ وَقَفَ (الدكتور أيمن) واتَّجه نحو المُصَلِّين ، ثمَّ قالَ لهم: أيُّها الأَحِبَّةُ الأماجدُ! أنتم مَدْعُوُّونَ للاسْتِماعِ إلى نَدْوةٍ ثقافيةٍ في هذا المَسْجِدِ ، فمن كان عِندَه فراغٌ فلا يقَصِّر..

ثُمَّ دعا الدكتور السَّادةَ الضُّيوفَ: الدكتور أسعد ، والدكتور صهيب للحُضُورِ إلى الأمام ، والجُلوسِ على الكراسي.

وتقدَّم الشَّابُّ (عصام) وجَلسَ على أَحَدِ الكراسي ، ثُمَّ راح يَتْلُو قولَه تعالى:

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى

ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤١ - ٤٢].

وعَقَّبَ الدكتور أيمن على الآياتِ الكريمةِ بقولِه: يُرادُ من الآياتِ - واللهُ أعلمُ - أنَّ انْقِطاعَ الأَمْطارِ على البرّ، يَعْقُبه القَحْطُ عادةً، وكذلك عن دَوابِّ البحرِ، وسَبَبُه المَعَاصي!

وقد قال عُلماءُ السَّلفِ: مَنْ عَصَى اللهَ فقد أفسدَ في الأرضِ، وذلك لأنَّ صَلاحَ الأرضِ والسَّماءِ بالطَّاعةِ.

ولهذا جاءَ في الحديثِ النَّبويِّ: «لَحَدٌّ يُقامُ في الأرضِ أحبُّ إلى أَهْلِها من أن يُمْطرُوا أربعينَ صَباحاً».

والسَّببُ في هذا أنَّ الحُدودَ إذا أُقِيمتْ كفَّ الناسُ أو أكثرُهم أو كثيرٌ منهم عن تَعَاطي المُحَرَّماتِ، وإذا تَركَ الناسُ المَعَاصي كان ذلك

سبباً في حُصُولِ البركاتِ من السَّماءِ والأرضِ.

ثـمَّ التفتَ الـدكتـور أيمـن نحـو الـدكتـور صهيب ، وسأله:

فما هي عَلاقةُ البيْئةِ بخَطايا الإنسانِ؟

فكانَ جَوابُ الدكتور صُهيب:

إذا تَفَشَّى الظُّلمُ بين النَّاسِ ، واعْتَدى الغَنِيُّ على الفقيرِ ، والقَويُّ على الضَّعِيفِ ، وحُرِمتِ المَرْأةُ من المِيْراثِ ، و.. ، معنى ذلك أنَّ الله سَيَعُمُّهم بالبلاءِ لا مَحالةَ ، وهذا الأمرُ ذَكَرَهُ القُرآنُ الكَرِيمُ ، ودلّل عليه بقصصٍ حَدَثَتْ مَعَ الأَقْوامِ السَّابقةِ ، مثالُ ذلك قِصَّةُ أصحابِ الجَنَّة ، والتي ذَكَرها اللهُ تعالى في القُرآنِ بقولِه:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا

مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ
نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ
عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا
يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا
قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا
تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القلم: ١٧ ـ ٢٩].

وقد وَرَدَ في الآثارِ أنَّ أبا هُريرةَ رضي اللهُ عنه سَمِعَ رجلاً يقولُ: إنَّ الظالمَ لا يَضُرُّ إلا نَفْسَه.

فقالَ: كَذَبَ ، والذي نفسي بيده إنَّ الحُبارى ـ طيرٌ مَعْرُوف ـ لتموتُ هُزالاً من خَطايا بني آدم!

لأنَّه إذا كَثُرتِ الخَطايا والذُّنُوبُ مَنَعَ اللهُ المَطَرَ عن أَهْلِ الأرضِ ، وإنَّما يصيبُ الطيرُ من الحَبِّ والثَّمَرِ على قَدْر المَطَرِ ، ودَلِيلُنا على ذلك

قولُ المُصْطَفى ﷺ: «ما مَنَعَ قومٌ الزَّكاةَ إلا حُرِمُوا القَطْر ـ المَطَر ـ من السَّماءِ ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا».

وبالتَّالي فأعمالُ البَشَر تُجاه البيئةِ يُحدِّد إلى أيّ مَدَى يُسيء البشرُ إلى البيئةِ ، ولأضربْ لكم مَثَلاً واحِداً:

مُنذُ انْعِقادِ قِمَّةِ (استوكهولم) في السُّويد ١٩٧٢م لدراسةِ أحوالِ البيئة ، وحتى قِمَّة (ريودي جانيرو) في البرازيل عام ١٩٩٢م أعلنتِ الأُممُ المُتَّحدةُ أنه تمَّ قَطْعُ (٤٩٤) مليون فدّان من الأَشْجارِ!

أليس هذا ظلمٌ بِحقّ البيئةِ؟ ثم ما هُو رأي الإسلامِ في ذلك؟!

أجلْ ، إنَّها أمورٌ حَرامٌ ، ينكرُها الإسْلامُ ، وذلك لأنَّها من أكبرِ نِعَم اللهِ على النَّاسِ.

فإذا فُعِلَ ذلك، أي قَطَعَ الأَشْجارَ البشرُ، معنى ذلك أنهم أَغْضَبُوا اللهَ الخَالِقَ المُنْعِم، وعندئذٍ يأتي القَحْطُ والعَذابُ والجُوْعُ و..، مِصْدَاقُ ذلك قولُ الله تعالى في الحديثِ القُدْسيِّ: «أنا الله، إذا رضيتُ باركتُ، وليس لِبَرَكَتي مُنْتَهى، وإذا غَضِبتُ لعنتُ، ولعنتي تُدركُ السَّابعَ من الوَلَدِ».

وأمَّا الجَزَاءُ في الآخِرةِ فقد أَوْرَدَ الإمامُ مسلمٌ في صَحِيحِه بالسَّنَدِ المُتَّصِلِ إلى الرَّسُولِ ﷺ أنه قال: «لقد رأيتُ رَجُلاً يتقلَّبُ في الجَنَّةِ في شَجَرةٍ قَطَعَها من ظَهْر الطَّريقِ كانت تؤذي المُسْلِمين».

في قصصِهِمْ عِبْرةٌ..

وانتقلَ (الميكرفون) إلى الدُّكتور أيمن، فَشَكَر الدكتور صُهيب على ما تَفَضَّل به، ثمَّ

قال: ونَرْجُو من الأخِ الفاضِل الدكتور أسعد أن يَضْرِبَ لنا بعضَ الأَمْثِلة.. وذلك من وَاقِعِ ما جَرَى مع الأَقْوامِ السَّابقةِ ، ليكونَ لنا في ذلك العِظَةُ والعِبَرُ.

فقال الدكتور أسعد:

كَعادةِ القُرآنِ الكَرِيمِ ، فهو يَضَعُ بين يدي الإنسانِ صُورتين متضادتين ، ويتركُ له حُرِّيَّةَ الاختيارِ والأُسْوةِ.

ففي علاقةِ الإنْسانِ مَعَ نِعمَ الله تعالى ، يَضَعُنا القرآنُ أمامَ نَمُوذجٍ أوَّل ، ومُلَخَّصُه: أنَّ الإنْسانَ إذا حَمِدَ اللهَ وشَكَره على نِعَمِه ، واسْتَخْدمَ ذلك في مَساراتِ الحَلالِ ، وابْتَعَدَ عن أُمورِ الحَرامِ ، فإنَّ اللهَ تعالى يزيدُ عليه في العَطاءاتِ ، مِصْدَاقُ ذلك قولهُ عزَّ وجلَّ:

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾

[الجن: ١٦].

وقولُه على لِسانِ نوح عليه السَّلامُ:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

وبالمُقابِلِ ، يَضَعُنا القُرآنُ أمامَ نَمُوذجٍ آخرَ ، وهو قِصَّةُ سَبأ ، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا

ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبا: ١٥ ـ ١٩].

أيْسَرُ السُّبُلِ للإصْلاحِ البيْئيِّ

ثُـمَّ طَلَـبَ الـدكتـور (أيمـن) مـن الحُضُـورِ المُشاركةَ في رَسْمِ أُسُسِ الإصْلاحِ البيئي، فوقفَ الشَّابُّ (أحمد) وقال:

علينا أن نَتَعلَّمَ من القُرآنِ الكريمِ إحْكامَ التَّدبيرِ في كُلِّ الشُّؤونِ والأُمُورِ، مع مُلاحَظةٍ مُهِمَّةٍ، وهي دقَّةُ التَّقْديرِ، وإذا اتَّخَذْنا ذلك منهجاً، فتعامَلْنا مع كلِّ ما يُحِيطُ بنا كانتِ النَّتائجُ شيئاً رائعاً حقاً، وفي ذلك يقولُ الله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا

وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦ ـ ١١].

ثم طَلَبَ (إحسان) أن يأذنَ له مُدِيرُ النَّدوةِ بالمُشَاركةِ ، فأشارَ إليه أن تَفَضَّل ، فقال: عَلَيْنا أن نَهْتَمَّ كثيراً بقضيَّةِ التَّرْشيدِ ، وأركِّزُ على فِكْرةِ التَّرشِيدِ في كلِّ شيء ، وبالتالي يجبُ أن يكونَ ذلك برنامجاً يوميّاً لدى كُلِّ واحدٍ منّا.

ففي قَضِيَّةِ التَّرْشِيدِ في المَطْعَم والمَشْرَب يقولُ الله تعالى:

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وعلينا الاعتقاد أنَّ مَعُونةَ الله تأتي عند

الالْتِزامِ بِمَنْهَجِه والتَّوكُّلِ عليه ، وذلك عن طَريقِ حُلُولِ البركةِ في الأَرْزاق والآجالِ و..

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الاعراف: ٩٦].

«ولو تَوَكَّلْتُم على الله حَقَّ تَوكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كما يَرْزُقُ الطَّيرَ ، تَغْدُو خِماصاً وتَعُود بِطاناً».

وقال الشَّابُّ (أيهم): علينا أن نَصْطَلِحَ مع الله تعالى ، ونَتُوبَ إليه ، ونَسْتَغْفِرهُ من كُلِّ الذُّنوبِ ، وإلا فلنعلمْ يقيناً أنَّ كلَّ ما أصاب البيئةَ التي حَوْلنا ، والتي نُشَكِّلُ نحنُ جُزْءاً منها ، فذلك من ظُلْمِنا وإعْراضِنا عن مَنْهَجِ رَبِّنا:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقام رجلٌ في السنّ من زاويةِ المَسْجِدِ ،

وقال بصوتٍ خافتٍ قليلاً: أريدُ المشاركةَ ولو دَقِيقة واحِدة ، فقال الدكتور (أيمن): تفضَّلْ هاتِ ما عندكَ.

فقال: علينا أن نُحَسِّنَ الظَّنَّ بالله تعالى ، كما جاء في الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «قال اللهُ: يابنَ آدم ، إنكَ ما دَعَوْتَني ورَجَوْتَني غفرتُ لكَ ما كان فيك ولا أبالي ، يابنَ آدم! لو بلغتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ، ثم اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرتُ لك ولا أبالي.

يابنَ آدم! إنَّكَ لو أتيتني بقُرابِ الأرضِ خَطايا ثم لَقِيْتَني لا تُشْرِك بي شيئاً لأتيتُك بِقُرابِها مَغْفِرةً». ثم راحَ يبْكي.. فَأَبْكَى الحَاضِرينَ..!

ثم قالَ الدكتور (صهيب): ولنحفظْ قولَ الرسولِ ﷺ: «إيَّاكُم والمَعْصِيةَ ، فإنَّ العبدَ ليذنبُ الذنبَ الواحدَ فينسى به البابَ من العِلْم ،

وإنَّ العبدَ لَيُذْنبُ الذَّنبَ فَيُحْرَمُ به قِيامَ الليل ، وإنَّ العبدَ ليذنبُ الذَّنبَ فَيُحْرَمُ به رِزْقاً كان هُيِّئَ له».

ثُمَّ خَتَم الدكتور (أيمن) النَّدوةَ بقولِ الله تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

وآخِرُ دَعْوانا أن الحَمْدُ لله ربِّ العالَمِينَ ، وصَلَّى اللهُ على النَّبِيِّ المُصْطَفى وآله وصَحابَتِه والتَّابِعينَ..

والحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ